

«يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اَكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ فِي الْأَرْضِ الشَّقَلِ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَهَطَّهُ الظُّلُمُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحَابٍ﴾ [الحج: ٣١]، «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ يَجْلِسَانِهِ، يَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، يَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ وَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، يَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُبْعَثُ فِيكُمْ؟ وَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ خَرَّهَا وَسَمَوْهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ يَبِيعُ الْوَجْهَ بِصَبِغِ الثَّيَابِ مُتَيْنِ الرِّيحِ، يَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يُسَوِّدُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، يَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ الَّذِي يُجِئُ بِاللَّسْرِ، يَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيطُ، يَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»^(١).

وَفِي لَفْظٍ لِأَحْمَدَ أَيْضًا: «ثُمَّ يَقْبَضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمٌ، فِي يَدِهِ مِرْوَرَةٌ، تَضْرِبُ بِهَا جَبَلًا كَانَ تَرَابًا، فَضَرْبُهُ ضَرْبَةٌ فَضَيْصِيرُ تَرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا كَانَ، فَضَرْبُهُ ضَرْبَةٌ أُخْرَى، فَصَيْصِيرُ صَبِيحَةٍ يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ». قَالَ الْبَرَاءُ: «ثُمَّ يَقْتَضِ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، وَيُمَهِّدُ لَهُ مِنْ فَرَاشِ النَّارِ»^(٢).

الشرح:

هذا الحديث المشهور، حديث البراء رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وهو حديث عظيم، فيه

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤)، وأبو داود (٣٢١٢)، والحاكم (٩٢/١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٥/٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (٩٧/١).

يَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ يَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، يَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عَلَيْكَ؟ يَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، يَقُولَانِ لَهُ: وَمَا لِي بِهِ؟ يَقُولُ: أَنَا صَدَقْتُ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ.

قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطَبِيعِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثَّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، يَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يُسَوِّدُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، يَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ الَّذِي يُجِئُ بِاللَّسْرِ، يَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، يَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِ وَمَالِي».

قَالَ: «وَأَنْ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْفِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، تَزَالُ إِلَهِهُ مِنَ السَّمَاءِ تَلَايِكَةً مُوَدُّهُ الْجُودُ، مِنْهُمْ الْمُسُوحُ، فَيجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّةَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يُجِئُ مَلَكَ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، يَقُولُ: أَيَّتَها النَّفْسُ الْحَقِيقَةُ، الْخُرْجِي إِلَى سَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَنَقْصِبٍ».

قَالَ: «فَتَعْرِفُ فِي جَسَدِهِ، فَتَبْتَغِيهَا كَمَا يَتَّبَعُ السُّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْتَلِ، فَيُخْلَعُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةٌ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيُخْرِجُ بِهَا كَأَنَّ رِيحَ جَفَّةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُوهَا بِهَا، فَلَا يَمُوتُونَ بِهَا عَلَى تَلَاٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَقِيقُ؟ يَقُولُونَ: رُوحُ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ، بِأَفْخِجِ أَسْمَاءِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِي فَلَانٌ يَفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٥]،

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: «عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟» قِيلَ: عَلَى قَبْرِ يَحْيَى بْنِ قَيْسٍ، فَقَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَبَّرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَبَعَثَنَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَنْظَرُ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «أَيُّ إِخْوَانِي، لِيُثْلَ هَذَا الْيَوْمَ فَأَعِدُوا»^(١).

وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَكَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَذَرُونَ مَا مَتَلَى وَمَتَلَكُمُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا مَتَلَى وَمَتَلَكُمُ مِثْلُ قَوْمِ خَاوُوا عَدُوًّا بِأَيْتِهِمْ، فَبَعَثُوا رَجُلًا يَرَاهُيْ هُكْمُ، فَأَبْصَرَ الْعَدُوَّ، فَأَقْبَلَ لِيُنْذِرَهُمْ، وَخَشِيَ أَنْ يُدْرِكُهُ الْعَدُوُّ وَقَبْلَ أَنْ يُنْذِرَ قَوْمَهُ، فَأَهْوَى بِقَوْيِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ أُرَيْسْتُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ أُرَيْسْتُمْ، فَكَانَتْ مَرَّاتٍ»^(٢).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَا أَسْكَرَ حَرَامٌ، وَإِنْ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَقْدًا لِمَنْ قَرِبَ الْمُسْكِرُ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِبْنَةِ الْحِجَابِ»، قِيلَ: وَمَا طِبْنَةُ الْحِجَابِ؟ قَالَ: «عَرُوفُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٣).

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطْلُبُ السَّمَاءَ وَحَتَّى مَا أَنْ تَبْطُلَ، مَا

(١) أخرجه أحمد (٢٩٤/٤)، وابن ماجه (٤٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٨/٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).

أَنَّهُ تَشْرَعُ الْمَوْعِظَةُ عِنْدَ الدَّفْنِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِذَا حَصَلَ فَرَسَةٌ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا وَعَظَهُمْ لِمَا كَانَ يَنْتَظَرُ أَنْ يَتَهَوَّأَ مِنْ تَجْهِيزِ الْقَبْرِ، أَمَّا إِذَا جَاؤُوا وَالْقَبْرَ يَجْهَرُ فَإِنَّهُمْ يَبَادِرُونَ بِدَفْنِ الْمَيِّتِ وَلَا يَجْلِسُونَ.

فَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلًا عَلَى الْمَوْعِظَةِ عِنْدَ الْقَبْرِ دَائِمًا، وَيُخْطَبُونَ فِي الْقَابْرِ، هَذَا بَدْعَةٌ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ يَعْمَلُ هَذَا دَائِمًا، وَإِنَّمَا عَمَلُهُ لِسَبَبٍ، وَهُوَ: أَنَّ الْقَبْرَ لَمْ يَنْتَه، فَإِذَا حَصَلَ مِثْلُ هَذَا فَلَا بَأْسَ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِبْرَاطُ نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِيهِ أَنْ ذَلِكَ لِأَسْبَابٍ، فَالنَّعِيمُ سَبَبُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالْعَذَابُ سَبَبُهُ الْعَمَلُ السَّيِّئُ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ إِبْرَادِ الْحَدِيثِ.

الشرح:

في هذه الأحاديث دليل على مشروعية زيارة القبور والنظر فيها، من أجل ترويق القلوب، والتوبة إلى الله عز وجل.

وقوله: (وَإِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَقْدًا لِمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ)؛ عقوبة له على شرب الخمر والعياذ بالله، فإن الله يسقيه من طينة أهل النار أو طينة أهل النار، كما شرب الخمر في الدنيا.

وفي هذا دليل على العقوبات على المعاصي، وأن الإنسان لا يعتمد على الرجاء، ويطمع في رحمة الله، وهو مقيم على المعاصي.

وقوله: (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَغْلَمَ، لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)، هذا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخوف أصحابه رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهم أفضل الأمة وأكثرها أعمارًا وصالحه، ومع هذا يخافون هذا الخوف الشديد، فدل على أن الاعتماد على الرجاء من غير عمل أنه باطل.

وقوله: (لَقَدْ تَضَائِقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ)، فيه أن ضغطة القبر لا ينجو منها أحد، لكن المؤمن يفرج الله عنه، وأما غير المؤمن فيضيق الله عليه حتى تختلف أضلاعه.

(١) أخرجه البخاري (١٣١٤).

فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد، لو تعلمون ما أعلم، لصححتم قليلاً، ولبكيتكم كثيراً، وما تُلذذتم بالنساء على الفُرْس، ولحق جنتهم إلى الصُّعَدَاتِ تجأون إلى الله عز وجل^(١). قَالَ أَبُو دَرٍّ: وَاللَّهِ لَوِ دِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعَصَّدُ.

وفي المسند أيضاً من حديث حذيفة، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ، فَلَمَّا اتَّهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ قَعَدَ عَلَى سَاقِيهِ، فَبَعَثَ يُرَدِّدُ بَصَرَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَيُضْغَطُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ ضَغْطَةً تَرُدُّهُ مِنْهَا حَامِلُهُ، وَيُعَلِّقُ عَلَى الْكَافِرِ نَارًا^(٢). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وفي المسند أيضاً من حديث جابر، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ تُوُفِّيَ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَسُويَ عَلَيْهِ، سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحْنَا طَوِيلًا، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَبَّرْنَا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ سَبَّحْتَ ثُمَّ كَبَّرْتَ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ تَضَائِقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٣).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَضِعَتِ الْجَنَازَةُ، وَاخْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدْ مُنِّي قَدْ مُنِّي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ تَذْمُونَنِي؟ يَسْمَعُ صَوْنَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا

(١) أخرجه أحمد (١٧٣/٥)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤٠٧/٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٠/٣).

يوم القيامة^(١)

الشرح:

قوله: (تَعْرِقُونَ فِيهَا عَلَى قَدَرِ خَطَايَاهُمْ) هذا في عقوبات المعاصي، وإن المعصية في الحشر يحصل لهم بسببها العرق الشديد من الخوف، فلا يأمن الإنسان من المعاصي ويتساهل فيها ويقول: الله غفور رحيم، واسع المغفرة، وما أشبه ذلك. نعم، الله غفور رحيم لمن تاب وعمل الصالحات وعمل الأسباب، أما من بارز الله بالذنوب والمعاصي، فإن الله شديد العقاب.

وقوله: (كَيْفَ نَعْتَمُّ وَصَاحِبِ الْقُرْنِ قَدْ انْقَضَ الْقُرْنُ)، صاحب القرن هو إسماعيل عليه السلام، والقرن: هو السور، يأمره الله عز وجل فينفخ فيه نفخة الفرع، ثم يأمره فينفخ فيه نفخة الموت: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَفَسَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، ثم يأمر فينفخ فيه النفخة فتنظر الأرواح إلى أجسادها، ويقوم الناس من قبورهم، وهذه نفخة البعث.

وقوله: (مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مُشِيئِهِ) هذه مظاهر الكبر، وهو خصلة ذميمة، والذي يترفع على الناس ويعجب بنفسه، هذا يكون حيناً على الله، وأما المتواضع فإنه يكون عند الله عزيزاً مرتفعاً.

وقوله: (إِنَّ الْمَصْورِينَ يُعْلَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، والتصوير الآن صار فناً من الفنون، ليس فيه بأس عند كثير من الناس، وبعضهم يتجرأ على الفنى بأزحلال، وما أشبه ذلك، وهو جريمة عظيمة، وعليه عيد شديد.

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

وفي مستند الإمام أحمد من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكثر الشمس يوم القيامة على قدر يبلى، وتزداد في حرها كذا وكذا، تغلي منها الرؤوس كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، ومنهم من يبلغ إلى كفيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه».

ومنهم من يلجئه العرق^(١). وفيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كيف أنعم وصاحب القرن قَدْ انْقَضَ الْقُرْنُ، وَخَسَى جَهَنَّمُ يَسْمَعُ مَنِيَّ يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ؟» فقال أحسب أنه كيف تقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا».

وفي المستند أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي

مُشِيئِهِ، لَبِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان».

وفي الصحيحين عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَصْورِينَ يُعْلَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْبِرُوا مَا خَلَقْتُمْ».

وفيها أيضاً عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عَرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَلُهُ بِالْعِشِيِّ وَالْعِشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَلُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤/٥)، والطبراني في الكبير (٧٧٧٩)، وأصله عند مسلم (٢٨٦٤) من حديث القناد بن الأسود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٣٢٦/١)، والطبراني في الكبير (١٣٦٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (١١٨/٢)، والحاكم (١٢٨/١).

(٤) أخرجه البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٨).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ مُدْمِنًا لِلخمر سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرِ العُورِطَةِ، وَنَهْرُ العُورِطَةِ؟ قَالَ: «نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ المومسات، يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِجْسٌ مُؤَوِّجُهُنَّ»^(١).

فَوَيْهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَصَاتٍ، فَأَمَّا عَرَصَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَادِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَخْلِفُ الصُّخْفُ فِي الْأَيْدِي، فَأَخِذْ بِيَمِينِهِ، أَوْ آخِذْ بِشِمَالِهِ»^(٢).

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحْتَمَرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُمْلِكَنَّهُ، وَضَرْبَ كَهْنٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا: «كَمَثَلِ قَوْمٍ تَزَلُّوا أَرْضَ قَلْبَةٍ، فَخَصَّرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُورِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُورِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا وَأَجْجُوا نَارًا، وَأَنْصَبُوا مَا قَلَدُوا فِيهَا»^(٣).

الشرح:

قوله: (جِيءَ بِالْمَوْتِ) ليس هو بملك الموت، إنما الموت، وهو معنى من المعاني، لكن الله عز وجل يجعله جسمًا يوم القيامة، فيذبح على مراءى من أهل الجنة، ومراءى من أهل النار، فأهل الجنة يفرحون أنهم لا يموتون وأنهم في نعيم، وأهل النار يجنونون؛ لأنهم يخلدون في النار، ولا تخرج لهم منها، يتمنون

- (١) أخرجه أحمد (٣٩٩/٤)، والحاكم (١٦٣/٤).
- (٢) أخرجه أحمد (٤١٤/٤)، وابن ماجه (٤٢٧٧/٤).
- (٣) أخرجه أحمد (٤٠٢/١)، والطبراني في الكبير (١٠٥٠٠).

وَفِيهَا أَيْضًا عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوَقَّفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يَذْبَحُ، ثُمَّ يَتْبَعِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُّوْهُ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُّوْهُ فَلَا مَوْتَ، فَيَزِدُّوْهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ قُرْعًا إِلَى قُرْعِهِمْ، وَيَزِدُّوْهُ أَهْلَ النَّارِ حُرْنًا إِلَى حُرْنِهِمْ»^(١).

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهُ قَالَ: «مَنْ اخْتَرَى تَوْبًا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ فِيهَا دِرْهَمٌ حَرَامٌ ثُمَّ يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً مَا دَامَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ادْخَلَ إِبْصَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صُغْمَتَا إِنْ لَمْ تَأْكُنْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ»^(٢).

وَفِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسَلَبَهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْفِيَهُ طَبِئَةَ الْحَبَالِ»، قِيلَ: وَمَا طَبِئَةُ الْحَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَصَاةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ»^(٣).

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ شَرْبَةً لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَا أُدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: «فَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْفِيَهُ مِنْ رَذْفَةِ الْحَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

- (١) أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).
- (٢) أخرجه أحمد (٩٨/٢).
- (٣) أخرجه أحمد (١٧٨/١)، والحاكم (١٦٢/٤)، والبيهقي في الكبير (٢٨٧/٨).
- (٤) أخرجه أحمد (١٧٦/١)، وابن ماجه (٣٣٧٧).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُضْرَبُ الْجَنْسُ عَلَى جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيرُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يُؤْتَى. اللَّهُ سَلَّمَ، وَحَاقِيَهُ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ سَوْكِ السَّعْدَانِ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْيُنِهِمْ، فَيَمْتَنُّهُمُ الْمَوْتُ بِعَمَلِهِمْ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَجُونَ، ثُمَّ يُنْجَوْنَ، حَتَّى إِذَا قَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُزَحِّمَ مِنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُوهُمْ بِعَلَانَةِ آثَارِ الشُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَكْثَرَ الشُّجُودِ، وَيُخْرِجُوهُمْ قَدْ انْتَحَشُوا، فَيَصْبُغُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَسْتَوُونَ نَبَاتِ الْحَيَاةِ فِي حِمْلِ السَّيْلِ» (١).

وفي صحيح مسلم عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نَعْمُهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى قُتِلْتُ، قَالَ: كَذَبْتُ، وَلَكِنْ قَاتَلْتُ لِقَالَ: هُوَ جَرِيٌّ، فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نَعْمُهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِقَالَ: هُوَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّخَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَضْغَافِ النَّارِ كُلِّهَا، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نَعْمُهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا انْتَفَقْتُ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

الموت: «وَقَادُوا تَيْمَنِيكَ لِيَقْبِضَ عَلَيْكَ رَبُّكَ» [الزخرف: ٧٧]، ينعنون الموت في النار ليستريحوا، لكنهم لا حاصل لهم موت: «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجِئِرًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى» [طه: ٧٤].

وقوله: (مَنْ اسْتَمَرَّ تَوْبًا يَعْشُرُ دَرَاهِمَ فِيهَا دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً مَا دَامَ عَلَيْهِ)، فيه رد على الذين يقولون: إذا صار في المكاسب شيء يسير من الحرام، فلا يضرب، وإذا صار في الشرية بعض الربا فلا يضرب؛ لأنه يسير ويستترك فيها. وهذه عشرة دراهم منها واحد منها حرام لم يقبل الله منه صلاة، وهذا عيب شديد يدل على أن الحرام ولو قل فخطره عظيم، فيجب تجنب الحرام نهائياً وعدم التساهل فيه.

وبعض الناس إذا قيل لهم: هذه الشركات تتعامل بالربا، يقولون: تعاملهم بالربا خفيف، يعني: أكثر تعاملاتهم بالحلال وفيها ربا قليل، فيكون الربا مغتفر بزعمهم، وفي هذا الحديث عشرة دراهم كلها حلال إلا واحد، فكان سبباً أن لا يقبل الله من صاحبه صلاته ما دام الثوب عليه، فأين الذين يتساهلون في الحرام ويقولون: لا ضرر إذا كان الحرام يسيراً.

وقوله: (مَنْ يُجْرِي مِنْ مُرُوجِ الْمُرْسَاتِ) يعني: الزانيات والعياذ بالله. وقوله: (فَلَمَنْ يَتَّبِعُنَّ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَهْلِكَنَّهُ)، يعني: تجتمع المعاصي ولو كانت صفات، فتصير كبائر وتهلك صاحبها.

وغرض المصنف رحمه الله من إيراد هذه الأحاديث الرد على الذين يتساهلون في المعاصي، ويقولون: إن الله غفور رحيم، ويتركون التوبة، ويعتمدون على رحمة الله وعلى عفو الله، ولا يتوبون من الذنوب.

ثم حكى ابن القيم عن شيخه - شيخ الإسلام ابن تيمية - أنه كان يقول:
إن أفضل الناس الأنبياء، وشر الناس من تشبه بالأنبياء وهو ليس منهم،
فليست العبرة بصورة الأعمال، فالتشبه بالأنبياء طيب في أصله، ولكن نظراً
للقصد صاحبه صار من شر الناس، مع أن ما عمله من خير الأعمال لو صدق
فيه. كذلك من باب أولى بعد الأنبياء: الصديقون ثم الشهداء، وأولئك خير
الناس بعد الأنبياء، وشر الناس من تشبه بهم وهو ليس منهم، وإنما يقصد
الرياء.

يُهَا آدَمَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَعَلْتَ لِيَمَانَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أَمَرَ بِدِ،
فَجَبَّ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى اتَّخَذَ فِي النَّارِ^(١).

وفي لفظ: «هَذَا أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَمُّوهُمْ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).
وَسَيَعْنِي شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: «كَأَنَّ أَنْ خَيْرَ النَّاسِ الْأَنْبِيَاءُ، وَقَدْ
النَّاسِ مِنْ تَشْبِهِهُمْ مِنَ الْكَذَّابِينَ، وَأَدْعَى أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَخَيْرُ النَّاسِ
يَعْتَمِدُ: الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ وَالصَّادِقُونَ وَالْمُخْلِصُونَ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ،
يُورِثُهُمْ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ».

الشرح:

قوله: (قَدْ اتَّخَذُوا) مع أنهم مؤمنون موحدون، احترقوا في النار
وحساروا فحسراً، فكيف يأمن العاصي ويعتمد على رحمة الله وعفوه من غير
توبة؟!

قوله: (هَذَا أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَمُّوهُمْ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يدل على أن
العبرة ليست بصورة العمل، وإنما العبرة بالمقاصد، فهذه الأعمال الثلاثة في
صورتها هي أفضل الأعمال: الجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيل الله،
وتعلم العلم والقرآن، ولكن لما كانت نية أصحابها غير خالصة لم تنفعهم هذه
الأعمال، فدل على أن المدار على النية وعلى القصد لا على صورة العمل، ودل
على أن الرياء يبطئ العمل، ولو كان هذا العمل في صورته من أكبر الأعمال.

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/٢٩٥)، وابن حبان (١٣٥/٢).

قوله: (مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ) كذلك من أنواع ظلم الناس: الغصب، وهو الاستيلاء على أموالهم قهراً بغير حق، فمن غصب أرضاً جزأه يوم القيامة أنه يطوق هذه الأرض؛ فجعل طوقاً في عنقه من سبع أرضين سبع طبقات، يوسع عنقه ويطول حتى يتسع لهذا الطوق الذي يحمل إياه يوم القيامة.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: مَنْ كَانَ عِنْدَ أَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فِي مَالٍ أَوْ عِرْضٍ فَلْيَأْتِهِ فَلْيَنْسِجْهَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ وَلَيْسَ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَأُغْطِيَهَا هَذَا، وَلَا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ قَدْ أَفْطَرَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ^(١).
وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَوَاهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ كَانَ عِنْدَ أَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فِي مَالٍ أَوْ عِرْضٍ فَلْيَأْتِهِ فَلْيَنْسِجْهَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ وَلَيْسَ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَأُغْطِيَهَا هَذَا، وَلَا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ قَدْ أَفْطَرَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ^(٢).
قَالَ: مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ خُصِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ^(٣).

الشرح:

كذلك من مبطلات الأعمال بعد الرياء والشر: فالإنسان قد يأتي بأعمال صالحة كثيرة وخالصة لوجه الله ليس فيها رياء، لكن يأخذها المظلومون ولا يبقى له شيء، فبعد ما يخلص الإنسان نيته لله يترك ظلم الناس، وإلا فإن المظلومين يأخذون أعماله يوم القيامة في مقابل ظلمهم، لا بد من القصاص، والقصاص يوم القيامة لا يكون بالدراهم والدنانير، وإنما يكون بالأعمال.

فعلى المسلم أن يخلص من المظالم في هذه الدنيا بأن يطلب المسامحة من المظلومين، ويعطيهم حقوقهم التي أخذها منهم؛ لأجل أن يسلم منهم في الآخرة، وتبقى له أعماله.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٤).

الآخرة جزء يسير من سبعين جزء، فكيف تطبق نار الآخرة ١٩.

قوله: (لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُلْتَ أَوْ خُوفٌ...) إلى آخره، كل هذه

تخديرات: أولاً: من الشرك وهو أكبر الذنوب، ثم يليه عقوق المؤمنين، ثم

يليه ترك الصلاة متعمداً، فمن ترك صلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، هذه

أشد عقوبة، لكن إذا تاب وحافظ على الصلاة تاب الله عليه.

وما أكثر من يتساهل بالصلاة اليوم ويتهاون بها وهو يعيش مع

المسلمين، ويسمى باسم المسلمين، ولكن الصلاة لا قيمة لها عنده، ولا يبالى

بها، هذه خسارة عظيمة.

وهذه المعاصي من أكبر الذنوب، وما بعدها فهو دونها وهو معصية

فلا يتساهل الإنسان بالمعاصي عموماً كبيرها وصغيرها؛ لأن صفار المعاصي

تجر إلى كبارها، وصفار المعاصي تجتمع وتشكل خطراً عظيماً إذا تساهل

الإنسان بها.

وفي الصحيحين عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَارُكُمْ هَلْوَ

التي يولد بكم آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ

لكافية، قَالَ: «فَأَيُّهَا قَدْ فَضَّلْتُ عَلَيْهَا يَسْبُو وَسَبِينَ جُزْءًا كُلُّهُمْ مِثْلُ حَرِّهَا» (١).

وفي الحديث عن معاذٍ قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

«لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُلْتَ أَوْ خُوفٌ، وَلَا تَعْتَقِ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ

تُخْرَجَ مِنْ أَمْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تُزَكِّي صَلَاةً مُتَعَمِّدًا، فَإِنَّ مِنْ تَرَكَ صَلَاةً

مُتَكَبِّرَةً مُتَعَمِّدًا قَدْ بَرِثَ يَتَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَلَا تُشْرِكْ خُمْرًا، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ،

وَأَيُّكَ وَالنَّعِيَّةَ، فَإِنَّ النُّعْيَةَ تُحِلُّ سَخَطَ اللَّهِ» (٢).

الشرح:

هذا يدل على شدة حر النار يوم القيامة، فهذه نار الدنيا لا أحد يطبقها مع

أنها أخف بكثير من نار الآخرة، فهي جزء واحد من سبعين جزءاً، وفضلات

عليها نار جهنم تسع وستين مرة، فإذا كنا لا نطبق نار الدنيا فكيف نطبق نار

الآخرة؟! قَالَ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿التوبة: ٨١﴾، فعلى

المسلم أن يتذكر هذا، ﴿أَوْفَيْتُمْ آلَافِي شُورُونَ﴾ أي: توفدوا ﴿وَأَنْشَأْتُمْ

أَشْجَاتٍ شَجَرَتَهَا أَمْ غُلَى الشَّيْطَانُ﴾، ففيها عبرة أنها تذكر بنار جهنم ﴿غُلَى

جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَتَتَعَمَّقُ لِلْمُتَفَرِّغِينَ﴾ (الزمر: ٧١ - ٧٣)، جعلناها تذكيراً فذكر

بنار الآخرة، فإذا كنت لا تطيق أن تقرب من نار الدنيا مع أنها بالنسبة لنار

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨٨).

ورحمته، وتنسى غضبه وتنسى عقابه.

قوله: (فَأَنَّهُ قَطَعَ الْبَيْدَ فِي ثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ) قطع البيد وهي عضو من الإنسان وفيها نصف الدية، تُقطع في ثلاثة دراهم، وهي: ثلاثة أرباع رطل من ذراعها اليوم، فإذا كانت يد الإنسان تُقطع في عقوبة على ذنب في نظر الناس لم يسير في الدنيا، فكيف بالعقوبة في الآخرة؟! لا شك أن العقوبة في الآخرة أشد على الذي عنده شرك أو كفر أو نفاق، أو عنده ظلم للناس ونحو ذلك، فلماذا كانت تُقطع يده في الدنيا بجريمة صغيرة في أعين الناس، فكيف يجرها من الذنوب؟! ولهذا لما اعترض المعري الماحد فقال: (١)

بَيْدٌ بِخَمْسٍ مِثْقَلٍ عَسَجِدٌ قُدَيْتُ مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعٍ دِينَارٍ
يعني: أن دينها نصف الدية -خمسة دینار من الذهب- ليرافقني عليها، فكيف تُقطع في ثلاثة دراهم؟ وهي: ربع دينار كما في الحديث.

فأجابه علماء السنة، وقالوا: (٢)

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَفْلَاحُهَا وَأَرْحَاقُهَا قُلُّ الْحَيَاةِ فَاثْمُهُمْ جُحْمَةُ الْبَارِي
لما كانت اليد أمانة كانت ثمنيتها، ولما خافت هانت، فالإنسان يورث عند الله بالذنوب والمعاصي، ويعظم عند الله بالطاعات.

قوله: (وَجَلَدَ الْحَدَّ فِي مِثْلِ رَأْسِ الْإِثْرَةِ مِنَ الْحُمْرِ) كذلك الإنسان جلد ثلثين جلدة إذا شرب جرعة واحدة من الخمر، فكيف يأمن من عذاب الآخرة الذي هو أشد؟

(١) يُطْرَقُ: الزوابع لأن البلاد المعري (٣٩٩/١).

(٢) البيت اللغضي عبد الوهاب بن علي بن نصر الحمكي يُطْرَقُ: يعني سحق (٥٠٥/٤).

وَالْأَخَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ أَصْنَافٌ أَصْنَافٌ مَا ذَكَرْنَا، فَلَا يَبْتَغِي لِمَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَنْ يَتَنَاقَشَ عَنْهَا، وَيُرْسِلَ نَفْسَهُ فِي الْمَعَاصِي، وَيَتَعَلَّقَ بِجَلْبِ الرَّجَاءِ وَخُسْنِ الظَّنِّ.

قَالَ أَبُو الْوَقَاءِ بْنُ عَقِيلٍ: اخْذَرَهُ وَلَا تَغْتَرِبْ بِهِ، فَإِنَّهُ قَطَعَ الْبَيْدَ فِي ثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ (١)، وَجَلَدَ الْحَدَّ فِي مِثْلِ رَأْسِ الْإِثْرَةِ مِنَ الْحُمْرِ (٢)، وَقَدْ دَخَلَتْ الْمَرْأَةُ النَّارَ فِي هَوْنٍ (٣)، وَاسْتَمَلَّتِ الشَّمْلَةَ فَأَرَا عَلَى مَنْ عَلَيْهَا وَقَدْ قُتِلَ شَهِيدًا (٤).

الشرح:

في هذا رد على المرجئة الذين يتعلقون بحسن الرجاء ولا يسألون بالمعاصي، والرجاء الذي ليس معه عمل رجاء مذموم، وإنما الرجاء المحمود هو الرجاء الذي يكون معه عمل وترك للمحارم، كما أن الخوف المحمود الذي لا يكون معه قنوط من رحمة الله عز وجل.

قوله: (اخْذَرَهُ وَلَا تَغْتَرِبْ بِهِ) أي: احذر الله جلّ وعلا، ولا تغتر بعفوه.

(١) قال أبي حنيفة: لا تقطع يده الشافعي إلا في ربع دينار فصاعداً، أخرجه البخاري (٢٧٨٩)، ومسلم (١٦٨٤)، واللفظ له، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) كما في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا سَكَرَ كَثِيرٌ، قَلِيلُهُ حَرَامٌ».

أخرجه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٩٥)، وابن ماجه (٣٣٩٣)، وأحمد (٣٤٣/٣).

(٣) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «غُلِبَتِ الْمَرْأَةُ فِي يَوْمٍ سَجَدَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَكَانَتْ فِيهَا الْفُتُورُ، لَا هِيَ الْمَهْمُومَةُ وَنَفْسُهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَزَكَّتْهَا فَاتَّكَلَّ مِنْ خَشْيَتِهَا الْأَرْضِي» أخرجه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٦)، واللفظ له.

(٤) سيأتي أخرجه قريبا.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْرَةَ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ يَرْفَعُهُ، قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي دُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي دُبَابٍ»، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنْمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يَقْرَبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، فَقَالَ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالُوا اقْرُبْ وَكُنْ دُبَابًا، فَقَرَّبَ دُبَابًا، فَعَلُّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِأُخْرَى: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَقْرَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَقَرَّبُوا عَنْقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ يَتَكَلَّمُ بِهَا الْعَبْدُ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أُنْعَدَ مَا بَيْنَ الشَّرِّ وَالْمَغْرِبِ.

الشرح:

قوله: (دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي دُبَابٍ) يعني: بسبب ذباب، (وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي دُبَابٍ) يعني: بسبب ذباب، فالذي دخل الجنة لما طلبوا منه أن يذبح للصنم أبي، قالوا له: (قَرِّبْ وَكُنْ دُبَابًا)، قال: (مَا كُنْتُ لِأَقْرَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)، فدخل الجنة، أما الثاني فتساهل وقال: الذباب سهل، فقرره للصنم، فدخل النار؛ لأن هذا شرك، والشرك لا يُغفر منه شيء حتى يتوب منه صاحبه، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، ولو كان قليلاً، فكان الذباب شيئاً سهلاً في نظره، ومع هذا كان جزاءه النار والعباد

(١) أخرجه أحمد في الزهد (٨٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٧٣/٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٧/٩).

وَقوله: (وَقَدْ دَخَلَتِ الْمَرْأَةُ النَّارَ فِي هَرُونَ) مع أن المرأة عند الناس ليس لها قيمة ولا لها حرمة، حبستها ومنعت عنها الطعام والشراب حتى ماتت، فدخلت النار، بينما دخلت امرأة بغية الجنة في كلب وجدته يلهث من شدة العطش فسقت، وهو كلب ليس عند الناس بشيء، فغفر الله لها جرورها العظيم - وهو الزنا - ودخلت الجنة^(١).

فلا يُتهمون بالأعمال بالحسنات ويُقال: هذه سهلة ولا تساوي شيئاً، ولا يُتهمون بالسّيئات ويُقال: هذه ليست بشيء. وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْتَرُونَ مِنَ الْمَغْرُوبِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ تَلَقَّى أَحَدًاكَ بَوْحُ طَلْقٍ»^(٢). فلا تحترق من المعروف شيئاً، ولا تحترق من الذنوب شيئاً.

قوله: (وَأَشْتَمَلَتِ السَّمَلَةُ نَارًا عَلَى مَنْ عُلَّهَا وَقَدْ قُتِلَ شَهِيدًا)، رجل قاتل في سبيل الله على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قُتِلَ، فغبطه الصحابة وقالوا: «هَيِّنَا لَهُ الشَّهَادَةَ»؛ لأنه في نظرهم وفيما يظهر لهم شهيد قتل في سبيل الله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّا» يعني: ليس في الجنة «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ السَّمَلَةُ الَّتِي أَخَذَكُمْ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَكُنْتُمْ عَمِلَ عَلَيْهَا نَارًا»^(٣)، والسَّمَلَةُ: نوع من الكساء يلتف به، أخذها من الغنائم بدون قسمة، فالتهمت عليه نارا، مع أن ظاهر عمله أنه شهيد.

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُوسَى، مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ يَلْهَثُ، كَادَتْ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَتَوَعَّتْ حُفَّهَا، فَأَوْفَقَتْهُ بِخِزَارِهَا، فَتَوَعَّتْ لَهُ مِنَ الْكَلْبِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ». أخرجه البخاري (٣٣٢١) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٠٧)، ومسلم (١١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَبَّمَا أَتَمَّكَ بَعْضُ الْمُعْتَرِينَ عَلَى مَا بَرَى مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا يُعْتَرِي مَا يَمُوتُ وَيَتَطَنَّ أَنْ ذَلِكَ مِنْ حُجَّةِ اللَّهِ لَهُ، وَأَنَّهُ يُعْطِيهِ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَهَذَا مِنَ الْعُرُودِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا رُسَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ حُرْمَةَ بِنِ عِمْرَانَ التَّجِيبِي، عَنْ عُنْبَةَ بِنِ مُسْلِمٍ، عَنْ عُنْبَةَ بِنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَقَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّهُ هُوَ اسْتِزْجَاجٌ». ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ، فَتَخَنَّا عَلَيْهِمْ أَنْتَوْبَ كُلِّ شَيْءٍ حَقٌّ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْضَةً لِمَا لَهُمْ مِنْهُ لِيَسُونَ» [الأنعام: ٤٤].^(١)

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَأَنَّكَ مُتَبِعٌ عَلَى مَقَاصِيهِ فَأَخَذَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ اسْتِزْجَاجٌ مِنْهُ يَسْتِزْجِرُ بِكَ بِهِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَفَنَقَلْنَا لِسَانَ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُضَوِّبَهُمْ سَفْهًا مِمَّنْ فِصْطَوْ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَتَهَوَّرُونَ﴾^(٢) وَلِيُضَوِّبَهُمْ أَنْتَوْبًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ^(٣) وَخُرُوجًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَكَا مَنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ^(٤) [الزمر: ٣٣ - ٣٥].

وَقَدْ رَدَّ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنْ يَظُنُّ هَذَا الظَّنَّ يَقُولِي: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْدَنِي^(٥) كَلَّا^(٦) [التجوير: ١٥ - ١٧]. أَيْ: لَيْسَ كُلُّ مَنْ نَعَّمَهُ وَوَسَّعَتْ عَلَيْهِ رِزْقَهُ أَلْهُونَ قَدْ أَكْرَمَهُ، وَلَا كُلُّ مَنْ ابْتَلَاهُ وَصَبَّحَتْ

(١) أخرجه أحمد (١٤٥/٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١) من حديث جندب بن عبد الله.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بإلهه، ولو امتنع من تقديمه قورنا الله لدخل الجنة، فكيف بالذي يذبح الشاة من الغنم والأضياء للقبور والأصنام والعباد بالله؟!

فبين من ذلك أن العبرة ليست بصورة المذبح، وإنما العبرة بالقصد والنية، فمن تساهل في الذبح لغير الله هلك والعباد بالله.

أما الآخر الذي قال: «مَا كُنْتُ لِأَحَدٍ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»، ولو كان شيئًا يسيرًا، فعظم الشرك، وخاف على نفسه من عاقبته، وجعل نفسه فداءً لعقيدته، فقتل، وصار شهيدًا، فدخل الجنة.

قوله: «وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ يَتَكَلَّمُ بِهَا الْعَبْدُ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ»، كالذي قال: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِقُلَانٍ»، فَقَالَ اللَّهُ شَهَادَةً وَقَالَ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَمَلِي أَنْ لَا أَغْفِرَ لِقُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِقُلَانٍ، وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ»^(١). قَالَ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَحْبَبْتَ أَعْمَالَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبَدًا مَا يَتَّبِعُ الْمَشْرُوقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢)، كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَتْ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِالَّذِي أَكْثَرَ كَلَامَهُ أَوْ كُلَّ كَلَامِهِ فِي سَخَطِ اللَّهِ.

عليه رزقه أكون قد أعطته، بل أبتلي هذا بالنعمة، وأكرم هذا بالإتياء.

وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ حُبَّ وَرَبِّ لَا حُبَّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ حُبَّ» (١).

ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب. (١)
وقال بعض السلف: «رُبَّ مُسْتَلْزَجٍ بَيْنَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرُبَّ مُغْوَرٍّ بِسَبْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرُبَّ مُتَوَلِّينَ بَيْنَهُمُ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ».

الشرح:

قوله: (وَرُبَّ مُتَوَلِّينَ بَيْنَهُمُ الْمُتَوَلِّينَ عَلَى مَا يَرَى مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا)،

كالذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْنًا وَأَوْثَقًا وَمَا نَحْنُ بِمُحْذَرِينَ﴾ [سبأ: ٣٥]،

وصاحب الحسين الذي قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ ﴿وَمَا أَظُنُّ

السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥،

٣٦]، فافترى به عنده في الدنيا، وظن أنه إذا كان هذا عطاء الله له في الدنيا ففي

الآخرة سيعطيه أكثر.

وهذا غرور - والعبادة بالله - فقد يعطي الله الدنيا للكافر والمشرِك؛ لأنها

لإنساني عند الله شيئاً، ولو كانت الدنيا تعديلاً عند الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ

مَا تَسْقِي كَانُوا مِنْهَا شَرِبَةً مَاءٍ» (٢).

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣١/١)، والحاكم (٤٨٥/٢) من

حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولم ألق عليه في الطبرج من سنن الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠)، والطبرج في الكبير (٥٨٤٠)، والبيهقي

في شعب الإيم (٧٩/١٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

فهو سبحانه وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، أما الآخرة

فلا يعطيها إلا من يحب، فلا يغتر الإنسان بحاله في الدنيا والنعيم الذي هو فيه

في الدنيا، ويظن أن الله سيكرمه في الآخرة، بدون عمل وبدون تقوى وبدون

طاعة؛ لأن النجاة والإكرام في الآخرة لا تحصل إلا لأهل العمل الصالح:

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ عَمِلَ

وَجِبِلًا صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

فإذا رأيت الدنيا في يد من لا يخاف الله عز وجل فاعلم أنه استدراج، كما في

قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾،

وأما إذا كانت مع الطاعة والعبادة فهذه إعانة من الله سبحانه وتعالى.

فليست العبرة بما في يد الإنسان من الغنى والثروة، وإنما العبرة بحاله مع

الله جل وعلا، فإن كان عاصياً لله فهذا استدراج له، وإن كان مطيعاً لله فهذه

نعمة وإعانة من الله سبحانه وتعالى، كما قال تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ

لَإِنْفَاقٍ ﴿١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَىٰ ﴿٢﴾ [العلق: ١، ٢]، وقال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا

مَا أَتَيْنَاهُ بِرُحْمَةٍ فَلَا يَكْفُرْهُ ﴿١﴾ وَتَوَسَّعَ رُحْمَهُ فَسُئِلَ رَبِّيَ أَكْفَرَمْ ﴿٢﴾ يظن أن هذا

لكرامته على الله ويعتبر، ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَدَيْنَاهُ فَفَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يعني: ضيقه

وافقره ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْلَسَنِي﴾، يظن أن هذا إهانة من الله، مع أنه من

مصلحته، وليس بإهانة كرامة.

فهذا أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم كان يربط الحجر على بطنه من